الغرود الرملية فى مصر (*)

للأستاذ محمد درار الإخصائى بالمجموعة النباتية

تطلق كلمة « الغرود الرملية » على الرمال السائبة التى تتجمع فى أكوام فوق سطح الأرض وتنتقل بفعل الرياح من مكان إلى آخر .

وتواجه مصر — كما هو الحال فى كثير من الدول الأخرى — مشكلة غرود الرمال التى تسبب خسائر فادحة للأراضى الخصبة وموارد المياه ومجاريها ووسائل المواصلات والأماكن المأهولة من القرى والعزب .

ولدينا فى مصر نوعان من هذه الغرود :

(١) الغرود الساحلية . (٢) الغرود الداخلية .

١ — أما الغرود الساحلية فيقتصر وجودها فى مصر على شاطىء البحر الأبيض المتوسط ، إذ تبدأ من رفح عند تخوم فلسطين وتمتد عبر شمال شبه جزيرة طورسينا إلى البحيرات الكبرى وضواحى الاسكندرية حتى السلوم على حدود برقة . هذا مع وجود ثغرات على طول هذا الامتداد تتسع فى موضع ما وتضيق فى آخر .

ولما كانت الغرود الساحلية تمتاز باختزان كميات كبيرة القدر من مياه الأمطار التى تهطل فى موسمى الخريف والشتاء فإنا نجد مزارع ذات شأن من النخيل والتين والطماطم . إلخ . تقوم منذ زمن طويل بين أودية تلك الغرود وبطونها المنبسطة ، أو على الأراضى الخصبة التى تلى حدود تلك الغرود .

وليس من شك فى أن سفى الرمال على الأراضى الزراعية ، وتجمع تلك الرمال فى أكوام تزحف صوب هذه الأراضى وتطغى عليها بفعل الرياح أدى إلى تغير كبير فى مساحة الأراضى المزروعة وحدودها ، ونذكر على سبيل المثال أن المزارعين فى جهة إدكو يضطرون إزاء تنقل الغرود من جهة إلى أخرى إلى هجر حقولهم والبحث عن أودية أو مسطحات جديدة لإنشاء المزارع مرة

(*) مذكرة قدمتها وزارة الزراعة لمؤتمر مؤسسة التغذية والزراعة الذى عقد بالقاهرة فى أول فبراير سنة ١٩٤٨ .

فى كل سنتين أو ثلاث . أما فى منطقة رفح فترى آثار المزارع القديمة لاتزال ماثلة فى الجداول والحياض القائمة وسط تلك الغرود المقفرة .

ويرى مما تقدم أن الغرود الرملية بوضعها الحالى ذات وجهين : فهى من ناحية أداة نافعة لخزن مياه الأمطار ، وهذا مايساعد على إنتاج قدر معين من الحاصلات وأشجار الفاكهة . بيد أنها من الناحية الأخرى عامل يفتك بالمزارع القائمة نظراً لخاصية تنقلها بفعل الرياح ، فضلا عن خطرها على طرق المواصلات والأماكن المأهولة فى بعض الجهات الساحلية .

وقد تمكنت بعض البلاد ذات الأمطار المحدودة الكمية من تثبيت غرود الرمال الساحلية وتحويلها إلى أداة صالحة للإنتاج الزراعى وفقا لحاجتها .

ولدينا فى مصر محطة تجارب صغيرة عند غرود البصيلى على مقربة من رشيد أنشأها قسم البساتين فى سنة ١٩٣٠ تلبية لطلب مصلحة السكك الحديدية لحماية الخط الحديدى فى تلك المنطقة من خطر الرمال التى تتطاير من الغرود المقابلة له وتتراكم فوقه . ولقد كللت أعمال هذه المحطة بالنجاح في منع سفى الرمال وتراكمها على الخط الحديدى حتى أمكن الاستغناء عن العمال المكلفين بإزالة الرمال المتراكمة.

ولما كانت الوزارة جادة الآن فى استغلال منطقة رفح لإنتاج حاصلات تتفق وحالة التربة هناك فإنه لا يمكن بطبيعة الحال إهمال شئون تلك الغرود الرملية التى تهدد هذه المنطقة فى الوقت الحاضر ، أو النظر اليها كموضوع ثانوى الأهمية .

والحقيقة أن مصر فى حاجة لإنشاء عدة محطات على طول الساحل من رفح إلى البصيلى ، وعلى الأخص فى المناطق التى تنذر بالخطر العاجل ، وأن مشروع تثبيت غرود الرمال الساحلية يجب النظر إليه كعمل اقتصادى كبير من الناحية القومية .

ونحن لهذا ندرك أن أعمال حماية الأملاك العامة والخاصة من خطر هذه الغرود يجب أن يعقبه اختيار مدى صلاحية الغرود المثبتة وإنتاج حطب الحريق وإنشاء المراعى وحقول النباتات الطبية والأعشاب الصالحة لصناعة الورق دون حاجة إلى الرى الصناعى .

والإجمال نذكر أن الغرود الساحلية تثبت عادة بزراعة حشائش الجازوف Ammopbila Arenaria على طريقة المربعات المعروفة أو بزراعة هذه الحشائش فى خطوط متوازية توازيا رأسيا على امتداد البحر .

٢ ـ وتنقسم الغرود الداخلية فى مصر إلى (ا) الرمال المنبسطة (ب) الغرود المستطيلة (جـ) الغرود الهلالية ، وتمتاز هذه الغرود بشدة جفافها .

وتشاهد الغرود الداخلية فى مناطق كثيرة نذكر منها صحراء ليبيا والفيوم والخانقاه على سبيل المثال . وتشتد وطأة هذه الغرود فى صحراء ليبيا حول الواحات المصرية خاصة ، وهى الخارجة والداخلة والبحرية والفرافرة وسيوه ، وفى داخل الأراضى المنخفضة التى تتكون منها هذه الواحات .

وتقدم هذه الغرود نحو الأراضى الزراعية فى الوقت الحاضر يهدد كثيرا من حقول النخيل . وهى أهم محصول للايراد فى الواحات . هذا علاوة على ما أتت عليه هذه الغرود فى الماضى من آلاف النخيل ، إما عن طريق الزحف المباشر نحو الأشجار وطمرها مع مرور الزمن ، أو طمس العيون التى تروى تلك الأشجار . وكثيرا ما يحدث أن تدفن الرمال الغابرة على الحقول الزراعية والحدائق فترفع مستوى تربتها فوق منسوب مياه الرى . ولما كان الرى يتم فى اكثر الحالات دون رفع المياه بالماكينات أو السواقى فإن الأهالى يضطرون لترك تلك المزارع وشأنها . كذلك نجد أن عددا من الآبار الهامة التى تتوقف عليها حياة قرى بأكملها أصبحت مهددة بالزوال فى وقت غير بعيد من جراء اندفاع الغرود الرملية نحوها . هذا عدا الاضطرار إلى تحويل الطرق الرئيسية من وقت لآخر تفاديا من خطر إقفالها بواسطة تلك الغرود .

ومما يدعو إلى الأسف إقبال الأهالى على تقطيع أشجار وشجيرات الطرفة القائمة على جوانب الغرود لاستعمالها وقودا ، رغم أن المحافظة على هذه النباتات تعطل زحف الغرود بصفة مؤقتة وإن كانت لا تمنع تقدمها كلية نحو الحقول .

وقد سبق للوزارة أن تمكنت من استصدار أمر يحرم تقطيع الأشجار والشجيرات الموجودة على الغرود أو بجوارها .

وكلف كاتب هذا المقال فى سنة ١٩٢٨ بدراسة مشكلة الغرود الرملية فى الواحة الخارجة ، واتخاذ ما يمكن من الوسائل العملية للتغلب على أخطارها.

ولما كان من المستحيل مقاومة هـــذه الغرود وتثبيتها بطريقة الزراعة كالمتبع فى الغرود الساحلية ، نظرا لجفافها ، فقد رئى تطبيق نظرية تحويل اتجاه هذه الغرود وتشتيتها بواسطة الهواء فيما حولها من الأراضى المنبسطة العديمة الفائدة ، وذلك بإقامة بضعة حواجز وأسوار فوق هذه الغرود من جريد النخيل .

وقد أجريت تجربة عملية فى غرد من أكبر الغرود الهلالية بجوار محافظة بلدة الخارجة دلت نتائجه الأولية على إمكان نجاح هذه النظرية .

ولا شك فى أن عملية تثبيت الغرود فى حاجة إلى القيام على أساس متين ، وأنه لابد من إسناد عملها إلى إدارة خاصة تعنى بإجراء مختلف التجارب حتى يمكن تكوين المبادىء الفنية التى تتفق وظروفنا المحلية ، وإعداد الرجال الصالحين للاضطلاع بحل هذه المعضلة الدقيقة فى مختلف جهات مصر .